

الجرائم الاقتصادية في الصراعات: استغلال الغذاء كورقة ضغط وانعكاساته القانونية

Economic Crimes In Conflict: Exploitation Of Food As A Pressure Sheet And Its Legal Implications

رضوان بن صاري*، جامعة المدية

bensari.redouane@univ-medea.dz

تاريخ إرسال المقال: 2025 /01 /02 تاريخ قبول المقال: 2025 /04 /29 تاريخ نشر المقال: 2025 /05 /13

الملخص:

يتناول مقال "الجرائم الاقتصادية في الصراعات: استغلال الغذاء كورقة ضغط وانعكاساته القانونية" الأبعاد المختلفة لاستغلال الموارد الغذائية كأداة للضغط في حالات الصراع. إذ يهدف المقال إلى تحليل كيفية استخدام الغذاء كوسيلة لتعزيز السلطة أو التأثير على الأطراف المتصارعة، مع التركيز على الانعكاسات القانونية لذلك. لقد أظهرت النتائج أن استغلال الغذاء في النزاعات يساهم في تفاقم الأزمات الإنسانية، مما يؤدي إلى انتهاكات حقوق الإنسان وزيادة معدلات الفقر والجوع. كما يتعرض القانون الدولي للأمن الغذائي لتحديات كبيرة بسبب هذه الممارسات، حيث يُعتبر استخدام الغذاء كسلاح جريمة ضد الإنسانية بموجب الاتفاقيات الدولية. ومن خلال تحليل هذه الحالات، يؤكد المقال على الحاجة الملحة إلى تطوير آليات قانونية أقوى لمكافحة هذه الجرائم وضمان تحقيق العدالة للضحايا. في النهاية، يشدد المقال على أهمية التعاون الدولي وإعادة تقييم السياسات الغذائية في مناطق النزاع لتجنب استغلال الموارد الغذائية وزيادة الأمن الغذائي كجزء من جهود السلام والإعمار.

الكلمات المفتاحية: الجرائم الاقتصادية، الصراعات، استغلال الغذاء، حقوق الإنسان، الأمن الغذائي.

Abstract:

The article "Economic crimes in conflict: exploiting food as a pressure sheet and its legal implications" addresses the different dimensions of exploiting food resources as a tool for pressure in conflict situations. The article aims to analyse how food is used as a means of enhancing power or influencing conflicting parties, focusing on the legal implications.

The results have shown that the exploitation of food in conflict contributes to the worsening of humanitarian crises, leading to human rights violations and increased poverty and hunger. International food security law is also challenged by such practices, as the use of food as a weapon is a crime against humanity under international conventions. By analysing these cases, the article emphasizes the urgent need to develop stronger legal mechanisms to combat such crimes and ensure justice for victims.

Finally, the article stresses the importance of international cooperation and a reassessment of food policies in conflict zones to avoid the exploitation of food resources and increase food security as part of peace and reconstruction efforts.

Keywords : Economic crimes, conflicts, food exploitation, human rights, food security.

المقدمة:

الجرائم الاقتصادية في سياق الصراعات تشير إلى الانتهاكات الموجهة ضد الموارد الاقتصادية، بما في ذلك الغذاء، حي يكون الهدف منها تحقيق مكاسب سياسية أو عسكرية على حساب حقوق المدنيين. وتشمل هذه الجرائم استغلال الغذاء كأداة ضغط عبر الحصار، ونهب الموارد الزراعية، وتدمير الإمدادات الغذائية، أو التحكم في المعونات الإنسانية. ودائماً يكون الهدف من هذه الأفعال هو تحقيق السيطرة أو إضعاف الخصم، هاته الأفعال التي تصنف على أنها جرائم يمكن أن تؤدي إلى عواقب إنسانية كارثية، أبرزها المجاعة وسوء التغذية، وتقادم الأزمات الاجتماعية والسياسية في المجتمعات المتضررة.

إن الغذاء ليس مجرد حاجة بيولوجية، بل هو حق أساسي من حقوق الإنسان، معترف به دولياً باعتباره ضرورياً لحياة كريمة. حيث تنص المادة 11 من العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية¹ على "حق كل فرد في مستوى كافٍ يتضمن الغذاء الكافي". ومع ذلك، في سياق النزاعات، يتحول هذا الحق إلى أداة استراتيجية تُستخدم لإخضاع السكان المدنيين أو الضغط على الحكومات. على سبيل المثال، شهد العالم حالات حصار غذائي في مناطق مثل اليمن وسوريا، حيث أغلقت طرق الإمداد لمنع وصول الغذاء إلى المدنيين، وهو ما حدث كذلك في العراق وما يحدث الآن في قطاع غزة، مما أدى إلى معاناة جماعية ومجاعات مدمرة.

وفي مواجهة هذه التحديات، يلزم القانون الدولي الإنساني الأطراف المتحاربة بحماية الحق في الغذاء. إذ تنص اتفاقيات جنيف لعام 1949 وبروتوكولاتها الإضافية² على تحريم استخدام التجويع كوسيلة حرب، وحماية المرافق والموارد الضرورية لبقاء السكان المدنيين، مثل الحقول الزراعية ومستودعات الأغذية. علاوة على ذلك، يعزز نظام روما الأساسي³ للمحكمة الجنائية الدولية اعتبار التجويع جريمة حرب. رغم ذلك، تواجه الآليات القانونية تحديات كبرى، من بينها غياب الإرادة السياسية وتعقيد توثيق الجرائم في مناطق النزاع. إلا أن هذه النصوص تظل أداة حيوية في محاسبة المسؤولين وتذكير العالم بأهمية حماية الغذاء كحق إنساني غير قابل للتصرف. تحقيق العدالة في هذا السياق يتطلب تعاوناً دولياً أكبر لتعزيز تطبيق القوانين وحماية الضحايا.

1- مظاهر استغلال الغذاء في الصراعات

في سياق الصراعات والحروب، يتحول الغذاء من حق أساسي وضروري لاستمرار الحياة إلى أداة تُستخدم لتحقيق أهداف سياسية أو عسكرية. وتظهر الأزمات المعاصرة أن استغلال الغذاء بات ظاهرة شائعة ومتعددة الأبعاد، حيث تُوظف الإمدادات الغذائية كسلاح لإخضاع الخصوم، وإضعاف السكان المدنيين، وفرض السيطرة. وقد تعدد مظاهر هذا الاستغلال، وتشمل الحصار الغذائي، ونهب الموارد الزراعية، وتدمير الإمدادات، وكذا التحكم في المساعدات الإنسانية، وتسييس التجارة الغذائية.

1-1 الحصار الغذائي

يعد الحصار الغذائي أحد أكثر مظاهر استغلال الغذاء شيوعاً في النزاعات المسلحة وهو فرض الحصار الغذائي على المناطق المدنية. حيث يتمثل هذا الأسلوب في منع دخول الإمدادات الغذائية والمياه إلى منطقة معينة، مما يؤدي إلى تجويع السكان وإضعاف قدرتهم على المقاومة. ولقد رأينا هذا النوع في الحصار المفروض على بعض المناطق في اليمن وسوريا كمثال واضح، أو ما يعيشه سكان قطاع غزة حالياً حيث عانى المدنيون من نقص حاد في الغذاء والدواء، مما أدى إلى أزمات إنسانية واسعة النطاق. هذا النهج يُستخدم لتحقيق مكاسب سياسية أو عسكرية من خلال إخضاع السكان المدنيين وإجبارهم على الامتثال.⁴

1-2 نهب الموارد الزراعية

في كثير من النزاعات، تتعرض الحقول الزراعية والمخازن الغذائية للنهب أو السيطرة من قبل القوات المتحاربة. حيث أن الهدف من هذا النهج هو إضعاف الخصم من خلال تدمير مصادر الإمداد الغذائي وتعطيل قدرته على تأمين احتياجاته الأساسية. ولقد شهدت النزاعات في إفريقيا، مثل الصومال وجنوب السودان، استخدام هذا التكتيك لتجريد المجتمعات من وسائل عيشها، مما يؤدي إلى أزمات غذائية مستدامة

1-3 تدمير الإمدادات والبنية التحتية الغذائية

في بعض النزاعات، تُستهدف المستودعات والمرافق الزراعية والبنية التحتية الغذائية بشكل متعمد. مما يؤدي هذا إلى تقويض قدرة السكان المدنيين على الحصول على الغذاء، كما يتسبب في عواقب اقتصادية وإنسانية طويلة الأمد. الحرب في أوكرانيا والحرب على قطاع غزة مثال حديث، حيث تعرضت الأراضي الزراعية وموانئ التصدير إلى تدمير أو تعطيل، مما أثر على الإمدادات الغذائية على المستوى المحلي والعالم.⁵

1-4 التحكم في المساعدات الإنسانية

تلجأ الأطراف المتنازعة أحياناً إلى عرقلة وصول المساعدات الإنسانية الغذائية إلى المناطق المتضررة، أو تقوم بتسييس توزيعها لخدمة أجندات معينة. يُستخدم هذا التكتيك لتحويل المساعدات إلى أداة ضغط على السكان أو للحصول على دعم سياسي. في بعض الحالات، تتم سرقة المساعدات الغذائية أو فرض قيود على إيصالها، مما يؤدي إلى تفاقم معاناة المجتمعات المحاصرة.

1-5 تسييس التجارة الغذائية

تُظهر الصراعات الدولية أن الغذاء يمكن أن يتحول إلى ورقة ضغط على المستوى التجاري. حيث أن العقوبات الاقتصادية والحروب التجارية تُعطل سلاسل الإمداد العالمية وتؤثر على وصول الغذاء إلى الدول التي تعتمد على الاستيراد. والحرب الروسية الأوكرانية تعد مثالاً صارخاً، حيث أدى النزاع إلى تعطيل صادرات القمح والحبوب، مما أثر بشكل كبير على الأمن الغذائي في العديد من الدول النامية التي تعتمد على هذه الإمدادات.⁶

1-6 استخدام الغذاء كورقة مساومة

في بعض النزاعات، يُستخدم الغذاء كوسيلة لشراء الولاءات أو فرض التبعية. ويتمثل ذلك في التحكم في توزيعه بين الجماعات المتحاربة، أو استخدامه كجزء من الصفقات السياسية والعسكرية. يؤدي هذا الاستغلال إلى تعميق الانقسامات المجتمعية وإضعاف النسيج الاجتماعي. تمثل هذه المظاهر انتهاكًا صارخًا للحق في الغذاء، وتؤدي إلى معاناة إنسانية هائلة. إذ أن استغلال الغذاء في الصراعات يهدف إلى إخضاع الشعوب، لكنه يُعد أيضًا جريمة إنسانية وفقًا للقانون الدولي الإنساني، ما يستدعي جهودًا قانونية وإنسانية لمواجهة. تعزيز الحماية الدولية للغذاء كحق أساسي يعد أولوية لضمان حياة كريمة للسكان المتأثرين بالنزاعات.⁷

2-الجرائم الاقتصادية المرتبطة بالغذاء في القانون الدولي

وفي سياق القانون الدولي دائماً، فإن الجرائم الاقتصادية المرتبطة بالغذاء تُعد من الانتهاكات الخطيرة التي تبرز في الصراعات والنزاعات المسلحة. ولقد ذكرنا بعض مظاهر استغلال الغذاء في النزاعات ومنها: التجويع المتعمد للسكان المدنيين، تدمير البنية التحتية الزراعية، منع وصول المساعدات الإنسانية، واستخدام الغذاء كوسيلة للضغط أو الإخضاع السياسي. هذه الأفعال لا تقتصر على أضرار اقتصادية فحسب، بل تمتد لتشمل انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان الأساسية.

2-1- الإطار القانوني للجرائم المتعلقة بالغذاء

- القانون الدولي يُجرّم استغلال الغذاء كأداة حرب من خلال نصوص صريحة، أبرزها:
 - اتفاقيات جنيف لعام 1949: هاته الاتفاقيات الأربعة بالإضافة الى البروتوكولات الإضافية التابعة لها تلزم الأطراف المتحاربة بحماية المدنيين وضمان وصول الإمدادات الضرورية لبقيهم. وهذا ما ورد على سبيل المثال من خلال المادة 54 من البروتوكول الإضافي الأول تحظر بشكل خاص تدمير المواد الغذائية أو إزالتها لإضعاف السكان المدنيين.
 - نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية 1998: حيث يعتبر استخدام التجويع كوسيلة حرب جريمة حرب حسب ما ورد في (المادة 8). كما يوجب النظام محاسبة الأطراف التي تستخدم الغذاء لإلحاق الضرر بالسكان المدنيين أو منع وصوله إليهم.
 - القرار 2417 (2018) الصادر عن مجلس الأمن الدولي: والذي يعترف بالصلة المباشرة بين النزاعات المسلحة وانعدام الأمن الغذائي، ويؤكد أن استخدام التجويع ضد المدنيين يُعد انتهاكًا للقانون الدولي الإنساني

2-2- أمثلة عملية حول استغلال الغذاء في النزاعات

شهدت النزاعات الحديثة انتهاكات واسعة النطاق لهذه القوانين:

من بين الأمثلة التي شهدها العصر الحديث هو الحصار في سوريا حيث يُستخدم الغذاء كأداة للحصار الاقتصادي والسياسي، ما أدى إلى أزمات إنسانية حادة تشمل المجاعة وسوء التغذية. إذ أنه وخلال الحرب الأهلية السورية، استخدمت أطراف النزاع الحصار كسلاح حرب، حيث منعت الإمدادات الغذائية والطبية عن مناطق مدنية بالكامل. أبرز الأمثلة كانت في الغوطة الشرقية بين 2013 و2018، حيث واجه السكان نقصًا حادًا في الغذاء، مما أدى إلى حالات سوء تغذية واسعة النطاق. تقارير الأمم المتحدة وصفت الوضع بأنه تجويع ممنهج، وهو ما يُعتبر جريمة حرب وفقًا للقانون الدولي.⁸

وكمثال آخر ما حصل في اليمن حيث انتشرت المجاعة واستعملت كسلاح ضغط في النزاع المستمر هناك، إذ أدى الحصار المفروض على موانئ رئيسية مثل الحديدة إلى منع دخول المساعدات والإمدادات الغذائية للسكان. وتم إحصاء 70% من السكان باتوا بحاجة إلى مساعدات غذائية، بينما يعاني الملايين من سوء التغذية الحاد. وأشارت تقارير دولية، بما فيها تقارير برنامج الأغذية العالمي (WFP)، إلى أن منع وصول الغذاء والمساعدات الإنسانية يُستخدم كوسيلة للضغط السياسي والعسكري

النزاع الروسي الأوكراني بدوره أدى إلى تعطيل صادرات القمح الأوكراني وأدى إلى تأثيرات مباشرة على الأمن الغذائي العالمي، خصوصًا في الدول النامية التي تعتمد على هذه الإمدادات، حيث أن الحرب الروسية الأوكرانية أحدثت صدمة كبيرة للأمن الغذائي العالمي، إذ تُعد أوكرانيا واحدة من أكبر مصدري القمح والحبوب. والحرب أدت إلى تعطيل الإنتاج الزراعي وإغلاق موانئ التصدير، مما أثر على إمدادات الغذاء في العديد من الدول النامية مثل مصر والسودان التي تعتمد على الواردات الأوكرانية. ورغم الجهود الدولية، مثل مبادرة تصدير الحبوب عبر البحر الأسود، لا تزال الأزمة تؤثر على الأمن الغذائي العالمي

ما حدث في جنوب السودان يستدعي كذلك التوقف حيث تم تدمير الموارد الزراعية في جنوب السودان، وذلك خلال الحرب الأهلية المستمرة منذ 2013 والتي أدت إلى تدمير الأراضي الزراعية ونهب الموارد الغذائية. أما المزارعون فقد أُجبروا على النزوح، مما جعلهم غير قادرين على زراعة المحاصيل. ولقد صدرت تقارير عن الأمم المتحدة أكدت أن النزاع تسبب في واحدة من أسوأ الأزمات الغذائية، مع اعتماد أكثر من نصف السكان على المساعدات الإنسانية للبقاء.⁹

ومن بين الأمثلة الحديثة الأوضاع في غزة حيث يتم استغلال الغذاء كأداة للصراع، إذ أن قطاع غزة يُعد أحد الأمثلة البارزة لاستغلال الغذاء في النزاعات، حيث يعاني السكان من حصار مشدد يفرضه الكيان الإسرائيلي منذ عام 2007، ما أدى إلى أزمة إنسانية متفاقمة. وأصبح الغذاء يُستخدم هنا كأداة ضغط ضمن سياق الصراع السياسي والأمني بين إسرائيل والفصائل الفلسطينية، مما يؤثر بشكل كبير على الأمن الغذائي للسكان البالغ عددهم حوالي مليوني نسمة.

في ظل صراعها مع فصائل المقاومة أصبح الكيان الإسرائيلي يفرض قيودًا صارمة على دخول السلع، بما في ذلك الأغذية، إلى قطاع غزة عبر معابر محددة. هذه القيود تؤدي إلى نقص مزمن في السلع

الأساسية، وارتفاع أسعارها بشكل يجعلها بعيدة عن متناول غالبية السكان. ووفقًا لتقارير الأمم المتحدة، يعاني حوالي 68% من سكان غزة من انعدام الأمن الغذائي بدرجات متفاوتة، ويعتمد أكثر من نصفهم على المساعدات الإنسانية لتلبية احتياجاتهم الأساسية.

أما الأراضي الزراعية والبنية التحتية المتعلقة بالغذاء، مثل المزارع ومصانع الأغذية، تتعرض للتدمير أثناء العمليات العسكرية الإسرائيلية المتكررة. بالإضافة إلى ذلك، تُفرض منطقة عازلة على حدود غزة تمنع المزارعين من الوصول إلى أراضيهم، مما يؤثر على الإنتاج الزراعي المحلي الذي يُعد مصدر دخل رئيسي لكثير من العائلات.

كما أن المساعدات الإنسانية المقدمة إلى غزة غالبًا ما تتعرض للتقييد أو التأخير بسبب الإجراءات الإسرائيلية على المعابر. هذه القيود تُستخدم كأداة ضغط لتحقيق أهداف سياسية، مثل إجبار الفصائل الفلسطينية على تقديم تنازلات في المفاوضات. تقرير برنامج الغذاء العالمي يشير إلى أن نقص المعونات أو تأخيرها يؤدي إلى زيادة معدلات سوء التغذية، خاصة بين الأطفال والنساء الحوامل.

ووفقًا للقانون الدولي الإنساني، يُعتبر الحصار الذي يمنع وصول الغذاء والمساعدات الإنسانية انتهاكًا صريحًا لاتفاقيات جنيف، التي تنص على حماية المدنيين وضمان وصول الإمدادات الغذائية الضرورية لهم. كما يمكن اعتبار تدمير البنية التحتية الزراعية ومصادرة الأراضي انتهاكًا لنظام روما الأساسي باعتبارها أفعالاً تؤدي إلى التجويع كوسيلة حرب.¹⁰

ورغم التحديات، تحاول المنظمات الدولية مثل برنامج الغذاء العالمي (WFP) ووكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (UNRWA) تقديم المساعدات الغذائية للمحتاجين في غزة. ومع ذلك، فإن استمرار الحصار يحد من قدرة هذه المنظمات على تلبية احتياجات السكان بشكل مستدام. الأوضاع في غزة تُظهر بوضوح كيف يمكن استخدام الغذاء كأداة ضغط في النزاعات، وهو ما يشكل انتهاكًا لحقوق الإنسان الأساسية والقانون الدولي. هذه الحالة تستدعي تحركًا دوليًا أكثر فاعلية لضمان احترام الحقوق الإنسانية للسكان المدنيين في غزة.

2-3- التحديات القانونية

رغم وجود هذه الأطر القانونية، يواجه المجتمع الدولي تحديات في التنفيذ، أبرزها: ضعف آليات المحاسبة حيث أن تعقيد الصراعات وعدم تعاون الأطراف المتورطة يجعل المحاسبة القانونية صعبة. كذلك غياب الإرادة السياسية للدول القوية قد تتجنب المحاسبة بفضل نفوذها السياسي والدبلوماسي وهو ما لاحظناه في السنوات السابقة حيث يتم استعمال حق الفيتو من طرف الدول الكبرى من أجل تجنب دول حليفة ومتورطة تتجو من العقاب.

وهناك قضية أخرى لا تقل أهمية عن باقي النقاط الأخرى وهي توثيق الجرائم إذ تظهر بعض الصعوبات في جمع الأدلة من مناطق النزاع وبالتالي تعيق بناء قضايا قانونية متماسكة.

وعليه ولتعزيز حماية الحق في الغذاء أثناء النزاعات، هناك حاجة إلى:

تعزيز دور المحكمة الجنائية الدولية في ملاحقة مرتكبي الجرائم الاقتصادية المتعلقة بالغذاء. وتفعيل العقوبات الدولية ضد الأطراف التي تستخدم الغذاء كسلاح، بالإضافة إلى زيادة تمويل منظمات الإغاثة مثل برنامج الغذاء العالمي لضمان وصول الإمدادات الغذائية للسكان المتضررين.

3- التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية

تعدّ التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية لاستغلال الغذاء في الصراعات من أكثر الجوانب خطورة وتعقيدًا. تتجاوز هذه التأثيرات النطاق الاقتصادي لتصل إلى مجالات اجتماعية وثقافية متعددة، مما يؤثر بشكل جلي على النسيج المجتمعي ويقلل من قدرة المجتمعات المحلية على التعافي والتكيف.

3-1- تأثير استغلال الغذاء على المجتمعات المحلية

أحد الأبعاد الرئيسية لاستغلال الغذاء يتمثل في تأثيره المباشر على المجتمعات المحلية، حيث يؤدي الحصار الغذائي أو تدمير الموارد الزراعية إلى تفكيك العلاقات الاجتماعية. ويتسبب حرمان السكان من الوصول إلى الغذاء في خلق شعور بالعزلة وفقدان الثقة في المؤسسات العامة، مما يسهم في تعزيز التوترات الاجتماعية والانقسامات بين الأطراف المختلفة.

عندما تُستغل الموارد الغذائية كسلاح في النزاعات، تُحرم المجتمعات من مصادر رزقها الأساسية. إذ يعتبر نهب الموارد الزراعية وتدمير بنى الإمدادات الغذائية من الأساليب التي تؤدي إلى زيادة مستوى الفقر، حيث يجد الأفراد أنفسهم غير قادرين على تأمين احتياجاتهم الأساسية.¹¹

هذا الاستغلال غير العادل لا يؤدي فقط إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية، وإنما يساهم أيضًا في تفتيت البنية الاجتماعية، إذ ينشأ شعور بالتدني بين الأفراد بسبب فقدان الممتلكات والموارد التي كانت تشكل أساس حياتهم اليومية. وعليه، يمكن أن يؤدي هذا التدهور في الأوضاع إلى نقص الثقة في الشركاء الاجتماعيين، مما يؤثر سلبيًا على أي جهود مستقبلية نحو المصالحة وإعادة البناء.

3-2- تداعيات الفقر والبطالة نتيجة للنزاعات الغذائية

من جهة أخرى، تزداد تداعيات الفقر والبطالة بشكل ملحوظ نتيجة للنزاعات الغذائية. عندما تُحاصر المناطق أو تُنهب الأراضي، حيث تعاني المجتمعات من فقدان الوظائف وتقليص الفرص الاقتصادية. ويصبح العديد من الأفراد بلا عمل، مما يزيد من معدلات البطالة ويزيد من أعباء الأسرة. هذا الفقر المتزايد لا يولد فقط معاناة اقتصادية، بل يسهم في تعزيز حلقة مفرغة من الفقر التي يصعب كسرها. إذ إن الأسر التي تعاني من نقص الموارد غالبًا ما تجد صعوبة في تأمين التعليم والرعاية الصحية، مما يؤدي إلى تقليص الفرص المستقبلية للأجيال القادمة.

بالتأكيد، تستمر هذه التداعيات لتتجاوز الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية لتصل إلى مجالات الصحة العامة. ويرتبط الجوع وسوء التغذية بزيادة معدلات الأمراض والمضاعفات الصحية. حيث تعاني المجتمعات

التي تعاني من نقص الغذاء من أنواع مختلفة من الأمراض، إذ يمثل انعدام الأمن الغذائي العامل الأساسي في ازدياد حالات سوء التغذية. وتؤثر هذه الحالة على الأطفال بشكل خاص، حيث تؤدي إلى ضعف النمو البدني والعقلي، مما يزيد من معدلات الوفيات بين الأطفال ويؤثر على أدائهم التعليمي في المستقبل. وبالتالي تبين التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية لاستغلال الغذاء في سياقات النزاعات أهمية معالجة هذه القضايا بشكل شامل، إذ لا يمكن التغافل عن الأبعاد الاجتماعية والثقافية عند دراسة تأثيرات الحروب والنزاعات.

إن فهم العواقب السلبية لاستغلال الغذاء ضروري لتطوير استراتيجيات فعالة للمساعدة في التخفيف من تأثير هذه الظواهر على المجتمعات. ويتطلب ذلك التزاماً من قبل الحكومات والمنظمات الدولية لضمان تحقيق الأمن الغذائي والتخفيف من جميع أشكال الاستغلال، لضمان استقرار المجتمع واستمراريته تطوره.

3-3- أثر الجوع وسوء التغذية على الصحة العامة

عند النظر في العلاقة بين الصراعات الغذائية والصحة العامة، لا يمكن تجاهل الأبعاد النفسية والعقلية التي ترافق الجوع وسوء التغذية. حيث أن تعرض الأفراد لنقص الغذاء المستمر يساهم في خلق شعور دائم من القلق والتوتر، وقد ينتج عن ذلك اضطرابات نفسية مثل الاكتئاب والقلق. هذه التأثيرات النفسية قد تمتد إلى الأجيال القادمة، حيث تؤثر على التفاعل الاجتماعي والقدرة على التكيف مع الضغوطات، مما يزيد من ملف التحديات أمام المجتمعات. في هذا الإطار، يصبح دور الدعم النفسي والاجتماعي جزءاً حيوياً من جهود الإغاثة في أوقات النزاع.

تعد النساء والأطفال من الفئات الأكثر تأثراً بمظاهر استغلال الغذاء في النزاعات، حيث يصبحون الأكثر عرضة للجوع وسوء التغذية. النساء، على وجه الخصوص، يتحملن عبء رعاية الأسرة، وعندما تتعرض الموارد الغذائية للاستغلال، تتخفف قدرتهن على توفير الغذاء. كما أن الأطفال الذين يعانون من نقص التغذية لا يواجهون فقط مشاكل فورية في صحتهم، بل أيضاً آثار سلبية طويلة الأمد على نموهم وتطورهم. هذه الديناميكية تؤدي إلى استمرار دورة الفقر والضعف عبر الأجيال، مما يعيق أي تقدم محتمل نحو الاستقرار والنمو.¹²

نستطيع أيضاً أن نرى أن استغلال الغذاء في النزاعات يؤثر بشدة على الزراعة المحلية والأسواق. عندما تُدمر الأراضي الزراعية وتنتهب الموارد، تنجو القلة من المزارعين فقط، مما يؤدي إلى انهيار الإنتاجية الزراعية. ويصبح الاعتماد على المساعدات الإنسانية هو الخيار الأساسي لأغلب الأسر، مما يقيد خياراتهم وحقوقهم في الحصول على الغذاء. وفي العديد من الحالات، تقوم أطراف النزاع بالتحكم في وصول المساعدات الغذائية لتحقيق مكاسب سياسية أو اقتصادية، مما يضيف طبقة جديدة من التعقيد إلى المشكلة ويترك المجتمعات في حالة من عدم اليقين والفقر المستمر.

في سياق النزاعات، يمكن أن تلعب التجارة الغذائية أيضًا دورًا ملحوظًا. حيث يسعى بعض الأطراف في النزاع إلى الاستفادة من نقص الغذاء، مما يؤدي إلى ارتفاع الأسعار وتجفيف الأسواق من المواد الأساسية. هذا الاستغلال الاقتصادي يتسبب في تفاقم الأوضاع الاقتصادية، فمع ارتفاع تكاليف الغذاء، تفقد الأسر القدرة على شراء احتياجاتها الأساسية، مما يعزز من ظاهرة الجوع وسوء التغذية.

في الختام، يظهر جلياً أن استغلال الغذاء في النزاعات له تأثيرات عميقة ومتنوعة على المجتمعات المحلية. إذ يتطلب التصدي لهذه التأثيرات اتباع نهج شامل يجمع بين الجوانب الإنسانية والاقتصادية والسياسية. كما ينبغي أن تأتي الاستجابات بالأفعال، وليس فقط الانشغالات النظرية، ويجب أن تهدف إلى حماية المجتمعات المعرضة للخطر وتعزيز قدرتها على التعافي والنمو رغم التحديات. إن تبني استراتيجيات فعالة للمساعدات الإنسانية والتدخلات السياسية الفعالة قد يساهم في خلق الظروف اللازمة لتعزيز الأمن الغذائي، مما يساهم في توقف دورة العنف والفقر.

خاتمة:

تعد الجرائم الاقتصادية المرتبطة بالغذاء في سياق النزاعات تحدياً أخلاقياً وقانونياً وإنسانياً، حيث يتحول الغذاء من حق إنساني أساسي إلى أداة ضغط تُستخدم لإخضاع السكان أو تقويض قدرة الخصوم. هذه الممارسات، التي تشمل الحصار الغذائي، تدمير الموارد الزراعية، والتلاعب بالمساعدات الإنسانية، تُحدث أزمات إنسانية واسعة النطاق، خاصة في المناطق الأكثر هشاشة.

لذلك فإن القانون الدولي، بما في ذلك اتفاقيات جنيف ونظام روما الأساسي، يجرّم استخدام التجويع كوسيلة حرب ويُصنّفه كجريمة ضد الإنسانية. ومع ذلك، يظل التطبيق الفعلي لهذه القوانين تحدياً بسبب غياب الإرادة السياسية، تعقيد النزاعات، وصعوبة توثيق الانتهاكات. على سبيل المثال، النزاعات في اليمن، سوريا، وأوكرانيا، وغزة تُظهر بوضوح كيف يُستخدم الغذاء كأداة لإخضاع المدنيين، ما يؤدي إلى ارتفاع معدلات الجوع وسوء التغذية.

أما جهود المنظمات الدولية مثل الأمم المتحدة وبرنامج الغذاء العالمي فإنها تهدف إلى التخفيف من هذه الأزمات عبر تقديم المساعدات الطارئة والدعوة إلى محاسبة المتورطين، لكن هذه الجهود تواجه عقبات سياسية ولوجستية كبيرة. وقرار مجلس الأمن 2417 (2018) يُعد خطوة مهمة في تعزيز الوعي القانوني والدعوة لمساءلة الأطراف المتورطة في هذه الجرائم، إلا أن تنفيذه على الأرض يواجه مقاومة كبيرة.

ولضمان حماية الغذاء كحق إنساني، هناك حاجة ماسة إلى تطوير آليات قانونية أكثر صرامة، كتعزيز مراقبة الامتثال للقانون الدولي الإنساني، ودعم مبادرات التعاون الدولي لمواجهة الأزمات الغذائية الناتجة عن النزاعات. في نهاية المطاف، يظل التحدي الأكبر هو تحقيق التوازن بين القوانين والعدالة الفعلية لضمان صمود المجتمعات الأكثر ضعفاً أمام تداعيات هذه الجرائم الاقتصادية المدمرة.

الهوامش:

¹ معاهدة متعددة الأطراف اعتمدها الجمعية العامة للأمم المتحدة في 16 ديسمبر 1966 ودخلت حيز النفاذ من 3 يناير 1976.

² هي مجموعة من أربع اتفاقيات دولية تمت الأولى منها في 1864 م وآخرها في عام 1949م تتناول حماية حقوق الإنسان الأساسية في حالة الحرب، أي طريقة الاعتناء بالجرحى والمرضى وأسرى الحرب، حماية المدنيين الموجودين في ساحة المعركة أو في منطقة محتلة.

³ تم اعتماد "نظام روما الأساسي" في 17 من يوليو/تموز 1998، خلال مؤتمر الأمم المتحدة الدبلوماسي للمفوضين المعني بإنشاء محكمة جنائية دولية، والذي عُقد في روما. وقد بدأت منظمة العفو الدولية متابعة عملية صياغة "نظام روما الأساسي" في عام 1993، عندما كانت اللجنة القانونية الدولية تعكف على مسودة الصياغة. وقُدمت المسودة إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1994. بعد ذلك، تابعت المنظمة جهودها وقدمت إسهامات خلال العملية السياسية لمراجعة مسودة اللجنة القانونية الدولية، وهي العملية التي تولتها لجنة خاصة معنية بإنشاء محكمة جنائية دولية، شكلتها الجمعية العامة للأمم المتحدة.

⁴ قرار مجلس الأمن الدولي رقم 2417 لعام 2018.

⁵ United Nations, Meetings Coverage and Press Releases, Already Up 20 Per Cent, Acute Hunger Driven by Conflict, Instability Risks Increasing Further Due to Climate Change, COVID-19, Secretary-General Warns Security Council, pub le. 11/03/2021. Visite le 24/11/2024

<https://press.un.org/en/2022/sc14894.doc.htm>

⁶ United Nations, Meetings Coverage and Press Releases, Lack of Grain Exports Driving Global Hunger to Famine Levels, as War in Ukraine Continues, Speakers Warn Security Council, pub le 19/05/2022, visite le 24/11/2024

<https://press.un.org/en/2022/sc14894.doc.htm>

⁷ United Nations, Meetings Coverage and Press Releases, Adopting Resolution 2417 (2018), Security Council Strongly Condemns Starving of Civilians, Unlawfully Denying Humanitarian Access as Warfare Tactics, pub le 24/05/2018, visite le 24/11/2024

<https://press.un.org/en/2018/sc13354.doc.htm>

⁸ United Nations, Meetings Coverage and Press Releases, Adopting Resolution 2417 (2018), Security Council Strongly Condemns Starving of Civilians, Unlawfully Denying Humanitarian Access as Warfare Tactics, pub le 24/05/2018, visite le 24/11/2024 .

<https://press.un.org/en/2018/sc13354.doc.htm>

⁹ United Nations, Meetings Coverage and Press Releases, Senior Officials Sound Alarm over Food Insecurity, Warning of Potentially 'Biblical' Famine, in Briefings to Security Council ,pub le 21/04/2020,visite le 24/11/2024

<https://press.un.org/en/2020/sc14164.doc.htm>

¹⁰ United Nations, Meetings Coverage and Press Releases, Security Council Adopts Presidential Statement Addressing Conflict-Induced Food Insecurity in Situations of Armed Conflict , pub le 03/08/2023, visite le 24/11/2024 .

<https://press.un.org/en/2023/sc15377.doc.htm>

¹¹ الاسكوا ، 2022 ، الأمن الغذائي والعدالة الاجتماعية : الحاجة الى اعتماد نهج الترابط،

[https://www.unescwa.org/ar/publications/%D8%A3%D9%85%D9%86-](https://www.unescwa.org/ar/publications/%D8%A3%D9%85%D9%86-%D8%BA%D8%B0%D8%A7%D8%A6%D9%8A-%D8%B9%D8%AF%D8%A7%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9-%D9%86%D9%87%D8%AC-%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%A8%D8%B7-%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%AF%D8%A9)

[-D8%BA%D8%B0%D8%A7%D8%A6%D9%8A-](https://www.unescwa.org/ar/publications/%D8%A3%D9%85%D9%86-%D8%BA%D8%B0%D8%A7%D8%A6%D9%8A-%D8%B9%D8%AF%D8%A7%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9-%D9%86%D9%87%D8%AC-%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%A8%D8%B7-%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%AF%D8%A9)

[-D8%B9%D8%AF%D8%A7%D9%84%D8%A9-](https://www.unescwa.org/ar/publications/%D8%A3%D9%85%D9%86-%D8%BA%D8%B0%D8%A7%D8%A6%D9%8A-%D8%B9%D8%AF%D8%A7%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9-%D9%86%D9%87%D8%AC-%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%A8%D8%B7-%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%AF%D8%A9)

[-D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9-](https://www.unescwa.org/ar/publications/%D8%A3%D9%85%D9%86-%D8%BA%D8%B0%D8%A7%D8%A6%D9%8A-%D8%B9%D8%AF%D8%A7%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9-%D9%86%D9%87%D8%AC-%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%A8%D8%B7-%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%AF%D8%A9)

[-D9%86%D9%87%D8%AC-%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%A8%D8%B7-](https://www.unescwa.org/ar/publications/%D8%A3%D9%85%D9%86-%D8%BA%D8%B0%D8%A7%D8%A6%D9%8A-%D8%B9%D8%AF%D8%A7%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9-%D9%86%D9%87%D8%AC-%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%A8%D8%B7-%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%AF%D8%A9)

[-D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%AF%D8%A9](https://www.unescwa.org/ar/publications/%D8%A3%D9%85%D9%86-%D8%BA%D8%B0%D8%A7%D8%A6%D9%8A-%D8%B9%D8%AF%D8%A7%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9-%D9%86%D9%87%D8%AC-%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%A8%D8%B7-%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%AF%D8%A9) , تاريخ الاطلاع: 2024/12/27.

¹² محمد تركي الربيعو ، أنثروبولوجيا الطعام في المجتمعات المحلية العربية، القدس العربي، 14 سبتمبر 2014،

[https://www.alquds.co.uk/%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D](https://www.alquds.co.uk/%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%B9%D8%A7%D9%85-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%B9%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%85)

[9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7-](https://www.alquds.co.uk/%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%B9%D8%A7%D9%85-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%B9%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%85)

[-D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%B9%D8%A7%D9%85-%D9%81%D9%8A-](https://www.alquds.co.uk/%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%B9%D8%A7%D9%85-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%B9%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%85)

[-D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%B9%D8%A7%D8%AA-](https://www.alquds.co.uk/%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%B9%D8%A7%D9%85-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%B9%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%85)

[/D8%A7%D9%84%D9%85](https://www.alquds.co.uk/%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%B9%D8%A7%D9%85-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%B9%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%85)